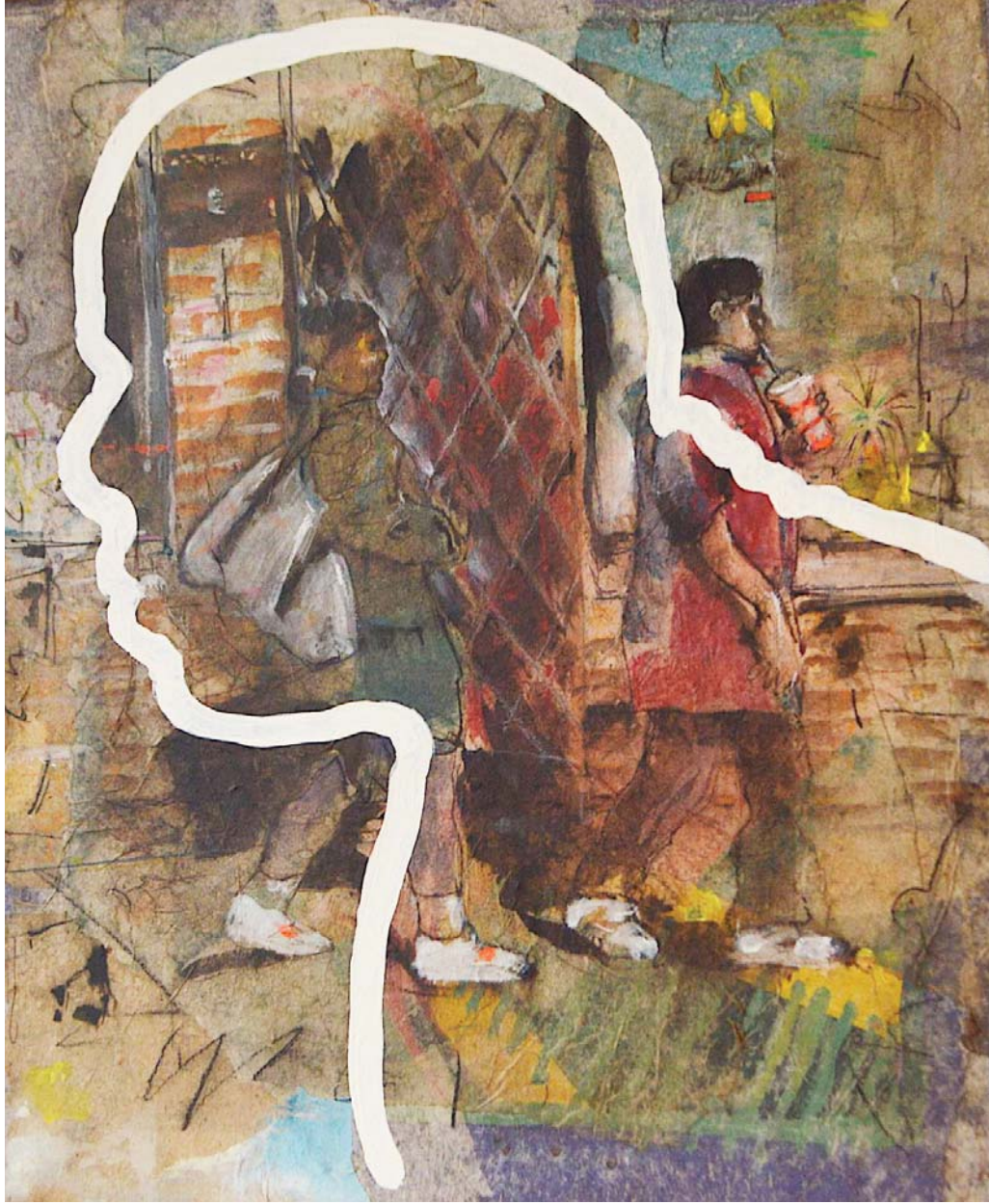


# مروحيات خاصة للشرطة تطارد وباء الضوضاء

## «أغنية المهد» رواية أميركية تحكي عن وباء يصيبك بمجرد السماع



أي إنسان يخلقه الوباء (لوحة للفنان شارل إيلي كوتور)

أن يظل منتبها، فلا توجد تفصيلا أقل أهمية من أن تستدعي انتباهه. وفي ما يتعلق بالأخلاقيات، يشير بالإنك بما يستشرف بأنه تبنّ لوجهية نظر راويه سترينوتور، حيث أنه قد تعلم أنه ليس من عمل الصحافي أن يحكم على الحقائق، فعمله ليس فلترة المعلومات، بل أن يجمع التفاصيل، وأن يدون ما هو موجود، وأن يكون شاهدا محايدا. ويقول إنك لا تصح مراسلا صحافيا لبراعتك في الحفاظ على الأسرار. وكوك مراسلا معناه أن تحكي، أن تحمل الأنباء السيئة، أن تنشر العدوى، أكبر قصة في التاريخ.

زاوية ممكنة، وأن الطريق المختصرة لإغلاق باب ما هي أن يدفن نفسه في التفاصيل، في الحقائق. وأن أفضل ما في العمل كمراسل صحافي أنه يستطيع الاختباء وراء مفكرته، وأن كل شيء عبارة عن بحث يجريه. وحين يتحدث عن الجانب الأخلاقي في نقل الوقائع والمحافظة على الأمانة فيها، من دون تلاعب أو تحوير، تراه يذكر أنه بدلا من الأخلاق، تعلم أن يقول للناس ما يرغبون في سماعه فحسب، وتعلم أن يدون جميع التفاصيل، وتعلم أن الحزبين أوغاد حقيقيين.. كما يذكر أنه لعله لم يتعلم قيم الأخلاق، لكنه تعلم

تماما، فلا أحد سيقلق مَما يعمل في عقلك، مع ضور الخيال لدى الجميع، فلن يمثل أحدا تهديدا للعالم، وبلغت الانتباه إلى أنهم يريدونك أن تؤمن دائما بانك والخبر شيخان منفصلان تماما. القاتل ومن يغطي أخباره كيانان لا علاقة لأدهمها بالأخر، لا يمكن الجمع بينهما. أيا كان موضوع التحقيق فهو ليس أنت. يثير الكاتب سؤالا عن جانب الحياة المأمولة، وكيف أن الحيلة التي يجب أن يمارسها الصحافي الاستقصائي الذي ترسم التحقيقات وجرانم القتل لوحة حياته ويوميته، لنسيان الصورة الكبيرة، أن ينظر إلى كل شيء من أقرب

المطاط، وسيلصق المخبرون أذانهم بكل ثقب مفتاح. إنه عالم خطير مرعب. إنه عالم تساوي فيه كل كلمة ألف صورة. يلعب فكرة الإدمان على الضجيج، الرعب من الصمت، وما يسميه بحصار الأفكار والسيطرة الكاملة للحياة، ويشدّ على أن للكلمات وقعا قويا، يصرفها بأنها صوت الهلاك. ويقول إننا نعيش في برج بابل.. لا بل في برج بلبله مائل. في واقع مهزوز من الكلمات، وصفة حمض نووي للكوارث. مع دمار العالم الطبيعي يبقى لنا هذا العالم الذي تسوده فوضى الكلام. الأخ الأكبر يغني ويرقص، ونحن نتفرج. قد تكسر العصي والحجارة عظامنا، لكن دورنا يقتصر على أن تكون الجمهور المشاهد المطمع، أن نشهد انتباهنا وننتظر وقوع الكارثة التالية.

### عالم الصحافة

يسترسل الراوي سترينوتور في وصف عالم الصحافة، ومحنة الأخ الأكبر، وكيف أن مشكلة كل قصة أنك تحكيها بعد وقوع الحدث، وأن المشكلة الأخرى ومتى ولماذا، التحيز الإعلامي، وكيف يعيد ناقل الحقائق تشكيلها وصياغتها، ما اصطلاح الصحافيون على تسميته "بحارس الواجبة"، وكيف أن طريقة

التقديم هي كل شيء. يستخدم بالإنك على لسان راويه المصطلح الذي راج بعد نشر أورويل لروايته كمرادف لاستغلال الأنظمة وسلطاتها وتعبئها على الحريات والحقوق باقنعة مختلفة.. والأخ الأكبر الذي يحضر في رواية "1984" لجورج أورويل، هو الزعيم الغامض لدولة شمولية يملك فيها الحزب الحاكم سلطة مطلقة على حياة المواطنين بزعم أن هذا في صالحهم، وهو ما يتم تذكيرهم به باستمرار بعبارة "الأخ الأكبر يراقبك"...

يعيد التأكيد على أن الأخ الأكبر لا يراقبنا، إنه يرقص ويغني، والأراب من قبعته. ويقول: الأخ الأكبر مشغول بجذب انتباهك في كل لحظة تبقى خلالها مستيقظا، يعمل على أن تكون ملهى على الدوام، يتأكد من انهماك التام، إن هدفه أن يذبل خيالك إلى أن يصير كزائدك الودية. إنه يسعى إلى شغلك طوال الوقت.

ويشدّ على القارئ/ الصحافي، موجها خطابها في الوقت ذاته إلى نفسه أيضا، بأنه إذا ظل اهتمامك منصرفا إلى ما يرغب فيه الأخ الأكبر، فإن هذا أسوأ من أن يراقبك. عندما يستغرقك العالم

مع انتشار فايروس كورونا الذي بات يهدد أغلب أقطار العالم، عاد الكثير من القراء إلى روايات وأعمال أدبية وفنية تتحدث عن الأوبئة، حيث مسألة الوباء ليست جديدة، بل هناك عشرات الروايات والأفلام التي تناولتها، وكل منها بطريقة مغايرة عن سابقتها، ومن بين هذه الأعمال نجد رواية "أغنية المهد" التي تطرح زاوية مختلفة تماما عن الوباء.

يصيبه بمجرد السماع، ويساله تخيل الرعب، وتخيل عصر ظلام جديد. ويقول لقد جاء الاستكشاف والتجارة بالطاعون الأول من الصين إلى أوروبا، لكن في وجود الإعلام صارت لدينا وسائل كثيرة جدا للنقل.

كما يمضي في سؤاله؛ يكتب مطالبا بتخيل الكتب تحترق، والشرايط والأفلام والملفات، وتخيل التلفزيونات وأجهزة الراديو وهي تغذي المحرقة الكبرى، وتخيل كل تلك المكتبات وقد تمسكت بها السنة اللهب في قلب الليل، ويسير في السيناريو الكارثي بالقول إنه سوف يهاجم الناس محطات موجات الميكروويف ويبترون كابلات الألياف البصرية بالفؤوس.

يشطح في التخيلات وأسئلة التخيل المفروضة، يكمل توجيه الخطاب لقارئة المفترض، بتخيل الناس وهم يرددون الصلوات والتراتيل طوال الوقت لإغراق أي صوت آخر قد يأتي حاملا الموت. سوف يضغطون بأيديهم على أذانهم وقد ناوا عن كل أغنية أو كلام يحوي الهلاك في طياته كما يسلم المخبولون زجاجات الأسبرين. كل كلمة جديدة، كل شيء لا يفهمونه بالفعل سوف يصير مشتبها به، خطيرا متجنبنا؛ حجر صحي ضد وسائل الاتصال.

يؤكد بالإنك في روايته أن الناس مقبلون على رعب جديد في كل مرحلة من مراحل تاريخهم، وأن أغنية المهد تكون وباء سمعيا، حيث يكون هناك عالم مختلف عالم يعي الجميع فيه أغنية المهد، سببها هناك تعميم

سمعي، كما في أيام الحرب، سيتحرك الخرف في دوريات منتظمة، لكن بدلا من البحث عن الأضواء، سيتلصصون على الأصوات ويأمرون الناس بأن يخرسوا. كما تبحث الحكومات عن التلوث في الماء والهواء، سوف تحدد تلك الحكومات ذاتها مصدر أي صوت أعلى من همسة وتعقل صاحبه.

ويشج على منوال السوداوية نفسه بالقول إنه ستكون هناك مروحيات خاصة تبحث عن الضوضاء كما يبحث رجال الشرطة عن المخدرات البوم. سيتحرك الناس على أطراف أصابعهم وهم يرتدون أحذية ذات نعال من

**هيثم حسين**  
كاتب سوري

يحكي الأميركي تشاك بالإنك في روايته "أغنية المهد" عن وباء غريب يمكن أن يصيب البشر، ويفتك بالحياة الإنسانية، ويختبر قوة الإنسان ومناعته وصموده وجبروته إزاء المحن التي قد تحملها الطبيعة له، أو تلك المختلة التي يمكن أن تصيبه، وتداعياتها وتأثيراتها الخطيرة على الحياة برمتها.

### تشاك بالإنك يكتب

مطالباً بتخيل الكتب تحترق، والشرايط والأفلام والتلفزيونات وأجهزة الراديو تغذي المحرقة الكبرى

يروى تشاك بالإنك، وهو راوي أميركي ذو أصول فرنسية وروسية وأوكرانية، ولد عام 1962، في واشنطن، عما وصفه بالأوبئة النفسية والأسرار الدفينة التي تلعب دورا كبيرا في توجيه حياة المرء تجاه هذا الجانب أو ذاك، وتحدد له مساره، وربما مصيره في الكثير من الأحيان. ويحك عن حصار التكنولوجيا للبشر، وكيف يكون هناك إدمان عليها، إدمان على التشويش وعلى خلط التفاصيل ببعضها البعض للهرب من الاستحقاقات المؤجلة دوما.

### وباء الضجيج

يحدّر بالإنك في روايته، الصادرة عن دار التنوير بترجمة هشام فهمي، من وباء يتسبب فيه التلوث السمعي، والضجيج الذي يسلم الأجواء، وما تفرق به وسائل الإعلام الناس من موسيقى صاخبة، أو مزعجة، تسبب لهم الضغط وتبقيهم تحت أعباء الاضطراب لاستقبال ما يتم إرساله لهم من مخططات تستهدف أمانهم النفسي، ودفاعاتهم الداخلية التي يتم تجديدهم منها بشكل ممنهج.

الراوي كارل سترينوتور، صحافي استقصائي يحقق في أسباب بعض جرائم القتل، يصور مشاهد مرعبة وهو يخاطب القارئ ويطلبه بالتخيل وباء

# العالمان الروحي والمادي يتآلفان في الصور

سميت الأيقونة بـ"الكتابة المقدسة"، إذ نجد في تفصيل مصطلح "يقونرافيا" كلمتي الرسم والكتابة.

### كتاب «الفن في حوار

الأديان الأزلي، يحيي لقاء الأديان بين فن المنمنمة وفن الأيقونة وتصميم الرمز بمضامينه

فسرت إحالة النص المقروء إلى صورة واقعية كي يتمكن ذهن من استيعابها، فرغم العمق في الواقعية، إلا أن الصورة تأخذ الصفة المثالية في ظل التقنيات الفنية المستخدمة، لتقترب من خصوصية مضمونها القدسي المؤثر.

واقترت المنمنمة بالنص المكتوب في التاريخ الإسلامي، فأحدهما يكمل الآخر. أما الأيقونة فتطلق في كيانها الفني المجرد نصا مكتوبا يقرأ بأبجدية تشكيلية الأحداث والوقائع وسير الأشخاص في الكتاب المقدس.

وهكذا يحيي كتاب «الفن في حوار الأديان الأزلي» لقاء الأديان بين فن المنمنمة مع فن الأيقونة وتصميم الرمز بمضامينه التي تعد «المختصر العقائدي الأعظم» في أداء وظيفة توثيق الحدث الإنساني وتجلي الهوية الدينية من خلال كتابة وتدوين وقائعه بمدلولات بصرية.

علم إلهي غيبي، تكامل في كتاب «القرآن الكريم» نصوصا لا تقبل التأويل، وهو يرسم ملحة «تاريخ الإسلام» في رسم تزويقي صغر، مجسدا وقائعه، منذ نزول الوحي الإلهي في آية قدسية، وبناء الكعبة المشرفة، قبله المسلمين، صاعدا بإيقاع فني، يتألف مع التصاعد الزمني للأحداث، المدونة في صفحات التاريخ.

لقد شخص الكناني الاختلاف الوظيفي بين المنمنمة الإسلامية و«وظائف دينوية» والأيقونة المسيحية و«وظائف دينية»، أما الدين اليهودي «قدسية الرمز» فقد وصفه بأنه دين بلا صور، «تحريم الصورة».

اتجهت المنمنمة في مسار يوازي الأيقونة، واختلفت في مضمون الوظائف، واتفقتا على هدى التوحيد الإبراهيمي الذي تنتسب إليه الديانات السماوية الثلاث، والتقتا في تحريم الشرك الوثني عبر التشخيص المصور، ورفض شرك النسبي بالمتلقي أو المخلوق بالخالق الأوحده، واتفقتا على معنى واحد متقارب أولا كتاب الروح، وثانيا الكتاب المقدس.

ففي بابل حيث هبط الملكان هاروت وماروت سميت المنمنمة بـ«كتاب الروح»، وفي أثينا حيث ازدهرت الحضارة اليونانية

ومعتقد. وخصص الكتاب حيزا لقصة الخلق التي جسدها الفنانون التشكيليون في رسوماتهم، استنادا إلى القصص السماوية، حيث لم يدرك الإنسان قصة الخلق إلا مع نزول الرسائل السماوية على الرسل والأنبياء، بعيدا عن تلك الأساطير التي تواترت في مختلف العصور.

وتطابقت قصة الخلق جوهريا في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ولا فرق إلا في الإسهاب بالتفاصيل التي جاءت في سفر التكوين، والإجمال والإشارة في القصص القرآني.

وتختلف الأديان في «وظائف الفن»، بدا «اللاهوت» مقابلا لـ«الميثولوجيا الدينية»، فموضوعات علم اللاهوت المسيحي الرئيسية هي: الله، الإنسان، العالم، الخلاص، البحث، الحساب. ويقابل ذلك العلم «علم الكلام» في الإسلام، وما جاء في حديث جبريل عليه السلام: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر. أنجز الفنان الإيطالي ميكائيل أنجلو روكا في «الكتاب المقدس»، مستحضرا «قصة الخلق» كما جاءت في سفر التكوين رسما في غاية الدقة والرؤية بسقف كنيسة سيستين في الفاتيكان، ملتزما بتسلسلها الزمني، وواقعتها من اليمين إلى اليسار.

أما فنان المنمنمة الإسلامية محمد راسم الجزائري فلم يقترب من

شكلا بصريا يرى فيه المختصر الأعظم لمعتقداته، معتقدا أنه ذاك الوعاء الذي يحتوي مضامين معتقده الذي يؤمن به، جاعلا منه هوية أسمى لمعتقد، الذي يميزه عن أي معتقد آخر.

ويرى المؤلف أن الرمز هو خصوصية عقائدية، اختارها الإنسان، ولم تكن فرضا في النصوص الإلهية، التي حملها الملائكة رسائل سماوية إلى الرسل والأنبياء، ولم تتضمن رمزا، أو إشارة إلى تشكيل رمز عقائدي بصري، يتمظهر به المؤمنون بعقيدتهم.

ويسعى الرمز البصري إلى الارتقاء بمضمونه، من خلال إعطاء العالم الغيبي



المقدسات رموز ثقافية (لوحة للفنان أحمد أنور)

### محمد ناجي

يطرح كتاب «الفن في حوار الأديان الأزلي» للناقد الفني العراقي عبدالرحمن جعفر الكناني إشكالية على قدر كبير من الحساسية، حيث يؤسس لرؤية الرمز البصري المتقارب مع نظام بيئي بديل عن نص التوحيد الإلهي المقدس في تجسيد هوية الأديان السماوية وتمثيل معتقداتها.

ينطلق الكتاب، الصادر عن المركز الديمقراطي العربي في العاصمة الألمانية برلين، في ديباجته من إجماع الأديان السماوية على تحريم تجسيد الذات الإلهية في شكل بصري، لكنها التقت في جعل الصورة كشفا روحيا كتابيا لما يعبر عن عقائدها في إحياءات رمزية مستوحاة من رسالات السماء وسير الرسل والأنبياء، جاءت في رموز وأيقونات ومنمنمات تشكلت بخصائصها التقنية، وانفردت بمزاياها الأسلوبية، وشغلت المكان بدورها الوظيفي، لما احتوته من فلسفة تجمع بين الإنسان والكون والدين، هي في حصيلتها تآلف العالمين الروحي والمادي في كتابة حروفها مصورة يتجلى فيها الباطن في شكل ظاهري قابل للإدراك الحسي.

يكتشف الكتاب أن الإنسان ينزع إلى تصوير جوهرة أو عقيدته في إطار رمزي، وهو يختار لدينه رمزا بصريا استوحاه بنفسه بما يتلاءم مع عقيدته الدينية، فالرمز الذي يتشبث به الإنسان،